الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضًا بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسَد* فإنْ كنَّا ونحنُ طالِبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحنُ أيضًا خَطأةً أفيكونُ المسيحُ إذًا خادِمًا للخطيئة. حاشا* فإنّي إن عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعَلُ نفسي متعدّيًا* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموس لكي أحيا لله* معَ المسيحِ صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في ايمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسَهُ عنّي.

تزكية النَّفس

الناموسيّ هو الذي درس الناموس، أي شريعة موسى. ناموس العهد القديم هو مجموعة قوانين وُضِعَت لتساعد الناس في تحديد طريقة عيشهم والقدرة على التمييز بين الخير والشرّ. إذا أردنا أن نعطي تشبيهًا يساعدنا في فهم معنى عبارة «ناموسيّ» نقول إنّ الناموسيّ في أيّامنا هو كالمحامي الذي يعرف القوانين. طبعًا، تتفاوت معرفة القوانين بين محامٍ وآخر، والأهمّ أنّ المحامي يكون حذقًا، ليس فقط عندما يعرف القوانين، بل أيضًا عندما يعرف كيف يستخدم الموادّ القانونيّة ليربح قضيّته.

يتكلّم إنجيل اليوم على ناموسيّ يسأل الربّ يسوع عن السبيل ليرث الحياة الأبديّة، وهذا السعي مبارك في عينيّ الربّ. لكنّ النصّ الإنجيليّ يوضح لنا قصد الناموسيّ غير المعلن، إذ يقول إنّ هذا الإنسان «أراد أن يجرّب المعلّم». لقد دعا الناموسيُّ الربَّ يسوع معلّمًا، لأنّ الربّ كان يعلّم في المجمع اليهوديّ، تاليًا قد يكون هدف الناموسيّ من تجربة المعلّم أن يُظهر للناس أنّ هذا المعلّم ليس معلّمًا جيّدًا، أو ليتأكّد هو نفسه من قدرة هذا المعلّم على الإحاطة بموضوع صعب يتعلّق بالحياة الأبديّة.

العدد ٢٠١٩/٤٥
الأحد ١٠ تشرين الثاني
تذكار الرسول كوارتس
أول أساقفة بيروت ورفقته
والشهيد أريستوس
والبار أرسانيوس الكبادوكي
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر العاشر

الربّ، العارف خفايا الناس، أحال الناموسيّ إلى تخصّصه، أي الناموس، وقال له بما معناه: «أيّها المحامي، ماذا يقول القانون الذي تعرفه عن هذا الموضوع الذي تسأل عنه؟». كان جواب الناموسيّ ممتازًا إذ قال إنّ السبيل إلى الحياة الأبديّة هو عبر محبّة الله والقريب، فقال له الربّ: «بالصواب أجبتَ، إعمل ذلك فتحيا». من يعمل بوصيّة المحبّة يحيا الحياة الأبديّة، وهذا الأمر لا يحتاج تفسيرًا، لكنّ قراءة الكلمة وفهمها لا يكفيان، لأنّ العيش بحسب هذه الكلمة هو الأهمّ. قد تبدو الوصايا سهلةً ظاهريًّا، لكن عند تطبيقها يجد الإنسان نفسه أمام عدّة معضلات إن لم يكن مستعدًّا لأن يتخلّى عن أناه،

فيبحث فيما بين كلمات الوصايا عن أمور يشوبها شيء من الغموض أو تحتمل عدّة تأويلات ليتهرّب من تطبيقها. هكذا، حاول الناموسي أن يُظهر عدم وضوح الوصيّة في تحديد القريب. فبعد أن ظهر لنا، من كلمات الربّ، أنّ الحوار انتهى عندما حصل الناموسيّ على الجواب المقنع من خلال الناموس الذي يعرفه، إنتقل الحديث إلى مستوى آخر عندما أراد الناموسيّ أن يزكّي نفسه، وفي هذه الإرادة بتزكية الذات تكمن المشكلة الأساسيّة.

كثيرون ممّن يعرفون كلمة الربّ ويبحثون عن الحياة الأبديّة يتصرّفون كالناموسيّ، ويحاولون مرّات كثيرة أن يزكّوا أنفسهم. يظنّ الإنسان أنّه يستطيع جعل نفسه بارًّا أو أن يعطي تبريرًا لنفسه عبر الالتفاف على كلمة الربّ أو عبر إظهارها كأنّها غير واضحة، لأنّ تطبيق كلّ كلام الناموس بحرفيّته صعب أو شبه مستحيل، لذلك يقول الرسول بولس إنّنا «نعلم أنّ الإنسان لا يُبرَّر بأعمال الناموس بل إنّما بالإيمان بيسوع المسيح» (غل ٢: ١٦). إذًا، يجب على المؤمن ألّا يظنّ أنّه يستطيع خلاص نفسه باتّكاله على نفسه، بل عليه أن يدرك دومًا أنّ الله هو الذي يخلّصه: «لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطيّة الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف ٢: ٨–٩).

يقول الرسول بولس: «الحرف يقتل والروح يحيي» (غل ٣: ٢١). مَن يريد أن يبرّر نفسه عبر تمسّكه بحرفيّة الناموس يكون كمَن يقتل نفسه، أمّا الذي يسعى إلى عيش الناموس بحسب روح الله فهو الذي يصل إلى الحياة. أوضح الربّ روح الناموس من خلال مثل السامريّ الشفوق الذي أظهر من خلاله مَن هو القريب. محبّة الله واضحة، لكن كيف نحدّد مَن هو القريب الذي يجب أن نحبّه؟ القريب هو الذي تقترب منه لتبادله المحبّة، وليس هو قريبك بالجسد أو الدين أو العمل. هذا الذي تقترب منه بالمحبّة التي يزرعها الله فيك هو طريقك إلى الحياة الأبديّة.

المؤمن الحقّ لا يسعى إلى تزكية نفسه لأنّه يرى خطيئته أمامه في كلّ حين، كما نقول في المزمور الخمسين، ويطلب رحمة الله العظيمة التي تخلّصه. أمّا سعي المؤمن ليحيا بحسب الكلمة الإلهيّة فيتحقّق بمعونة النعمة الإلهيّة التي تساعده كي يفهم كلمة الربّ التي تصير له نهجَ حياة. لا يهدف جهاد الإنسان إلى تبرير نفسه، بل جهادنا الروحيّ هو في سبيل تهيئة أنفسنا أكثر لنصير أوعيةً تنسكب فيها نعمة الله التي تبرّرنا كي لا يوجد فينا أيّ أمر يمكنه أن يبعد عنّا هذه النعمة.

القدّيس أرسانيوس الكبّادوكيّ

إشتهرت منطقة كبّادوكيا، في العصور المسيحيّة الأولى، وقد كانت موطنًا لقدّيسين كُثُر. هذه المنطقة الواقعة في آسيا الصغرى، والتي احتلّتها تركيا لتصبح جزءًا منها، كانت منارةً للإيمان القويم

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلّمُ ماذا أعملُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجابَ وقال أحبِبِ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال له بالصواب أجبتَ. إعمَلْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزَكّيَ نفسَهُ فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورَشليمَ إلى أريحا فوقع بين لصوصٍ فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميتٍ* فاتَّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريقِ فأبصرَهُ وجاز من أمامِهِ* وكذلك لاويٌّ أتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجاز من أمامِهِ* ثمَّ إنَّ سامِريًّا مسافِراً مرَّ بهِ فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليهِ وضَمَّدَ جراحاتِهِ وصَبَّ عليها زيتاً وخمراً وحملهُ على دابَّتِهِ وأتى به إلى

فُندقٍ واعتنى بأمرِهِ* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرَجَ دينارَيْن واعطاهما لصاحِبِ الفندقِ وقال له إعتَنِ بأمرِهِ. ومهما تُنفِقُ فوقَ هذا فأنا أدفَعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تَحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صَنَعَ إليهِ الرحمة. فقال لهُ يسوعُ إمْضِ فاصْنَعْ أنتَ أيضاً كذلك.

تأمل

الأغراض ذات السعر المرتفع إنّما تُدعى غالية، وذلك ليس صدفة. لاحظوا جيّدًا هذه العبارة «هذه أغلى من ذاك». ماذا تعني كلمة «أغلى»؟ أولًا تعني أنّه ذو سعر أكثر ارتفاعًا؟ وإن كان كلّ ذي سعر أكثر ارتفاعًا يدعى «أغلى»، فما هو أكثر غلاوةً من المحبّة يا إخوتي؟ ولكن، ما هو ثمنها برأيكم؟ وكيف يسدَّد؟ فثمن الحنطة عملتك، وثمن الأرض فضّتك، وثمن الصخر ذهبك، فيما ثمن محبّتك هو أنت. إن شئت ابتياع حقلٍ فتّشت عن أرضٍ ما ونظرت من حولك، بغية تسديد ثمنها، أمّا لو رغبت في اقتناء المحبّة فلا تفتّش عن وللدفاع عن العقيدة المستقيمة الرأي. مِن أشهر القدّيسين الكبّادوكيّين: باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتيّ ويوحنّا الذهبيّ الفم، المعروفون بالأقمار الثلاثة. شهدت المنطقة اضطهادًا كبيًرا بعد سقوط الإمبراطوريّة الرومانيّة، في ظلّ الإحتلال التركيّ، فاضطرّ أهلها على هجرها، وقد أُخلِيَت بالكامل من مسيحيّيها في التبادل السكّانيّ الذي حصل بين تركيا واليونان.

عاش في قرية «فاراسا» الكبّادوكيّة الصغيرة، كاهنٌ وقور يُدعى أرسانيوس، وُلد عام ١٨٤٠ في هذه القرية التي هي واحدة من القرى الستّ التي بقيت مسيحيّة في آسيا الصغرى، حتّى العام ١٩٢٤ حين هجرها سكّانها الأصليّون إلى اليونان.

بعدما أنهى دراسته بوقت قصير، إنتقل ثيوذوروس (إسم القديس أرسانيوس قبل سيامته) إلى قيصريّة كبّادوكيا حيث انضمّ، وهو في السادسة والعشرين من عمره، إلى دير القدّيس يوحنّا المعمدان، واتّخذ اسم أرسانيوس تيمّنًا بالقدّيس أرسانيوس الكبير. لكنّ التدبير الإلهيّ شاء ألّا يكمل أرسانيوس حياته راهبًا في الدير، فاستدعاه المتروبوليت باييسيوس الثاني وسامه شمّاسًا، ثمّ أعاده إلى فاراسا ليرعى شعب قريته وليُعنى بتعليم الأولاد المحرومين هناك من القراءة والكتابة. لقّنهم أيضًا صلاة الربّ يسوع: «ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ». علّمهم أن يقرّوا بخطاياهم متى خطئوا، وأن يدعوا باسم الربّ يسوع ووالدة الإله. كما اهتمّ بتعويد الأولاد على مسرى تتنقّى فيه أذهانهم بالصلاة المستمرّة.

أمّا الكبار، فكان يجمعهم للصلاة، ويعلّمهم الكتاب المقدّس وسِيَر القدّيسين وأقوال الآباء. كانوا، هم بدورهم، يقصّونها على أولادهم، فلا يعود لأخبار الجنّ والشياطين والخرافات مكان في سهرات الناس ولا في وجدانهم.

في فاراسا، أقام القدّيس أرسانيوس صندوقًا للفقراء في الكنيسة، حيث كان كلّ محتاج يذهب إليه ليأخذ منه قدر حاجته. ولم يحدث أن تجرّأ أحد على أخذ أكثر ممّا يحتاج، لأنّه كان يعرف أنّ عمله لن يمرّ من دون عقاب، إذ كان الأب أرسانيوس قد زرع مخافة الله في قلوب أبنائه جميعًا.

أحيانًا، كان يسعى إلى إحداث صدمةٍ عند الناس، محافظًا على نفسه من فخاخ المجد الباطل. النساء اللواتي كنّ يتهافتن على خدمته كان يردّهن، أحيانًا بالادّعاء بأنّ طعامهنّ ليس لذيذًا. أمّا إذا أصرّت إحداهنّ على خبز أقراص الشعير له، فكان يعطيها الطحين بمقدار ثمّ يتّهمها بسرقة بعضه.

عام ١٩٢٤، طرد الأتراكُ المسيحيّين من كبادوكيا، فقاد أرسانيوس أهل فاراسا، وكان قد أصبح شيخًا مثل موسى الذي قاد شعبه وهو شيخ. مشى على رجليه ٣٠٠ كيلومتر، وكان يعزّي الشعب ويشدّده حتّى وصل بهم إلى اليونان سالمين. بعد أن غادروا أرضهم، تذكّر أنّه نسي بقايا القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم في الكنيسة، فسار وحده ٦٠٠ كيلومترًا، ذهابًا وإيابًا، ليستردّها.

كانت لأرسانيوس بصيرة متوقدة، إذ كان يعرف ما سيحدث سلفًا. لذلك، عرف كيف يوصي شعبه بأن يستعدّوا للرحيل، وكان يقول لهم إنّه سيرافقهم، لكنّه سيغادرهم إلى ربّه بعد أربعين يومًا من وصولهم إلى الموطن الجديد. عرف يوم وفاته بالتدقيق، فأطلع مرتّله عليه، لكنّه آثر أن يكون وحيدًا متى جاءت الساعة.

عجائبه وشفاؤه للمرضى طالت الأتراك المسلمين كما طالت المسيحيّين. لم يكن ليحجب رحمة الله عن مخلوق، وما كان ليتقاضى أجرًا. لسان حاله كان «إيمانُنا ليس للبيع»، وإن أصرّ أحد على إعطائه مالًا، كان يسأله أن يوزّعه على الفقراء.

بعد أربعين يومًا من وصولهم سالمين إلى اليونان، رقد بالربّ في العاشر من شهر تشرين الثاني من العام ١٩٢٤، فدُفن في جزيرة كورفو، إلى أن أخرج القدّيس باييسيوس، الذي اعتمد على يديه وتتلمذ عليه، بقاياه عام ١٩٥٨ وأودعها دير سوروتي في ضواحي مدينة تسالونيكي اليونانيّة؛ وقد أُعلنت قداسته عام ١٩٧٠.

كوارتوس الرسول

في العاشر من تشرين الثاني تُعيِّد الكنيسة المقدّسة للرسول كوارتس، أحد الرسل السبعين والذي صار أول أسقف على مدينة بيروت.

لقد كان الرسول كوارتس واحدًا من تلاميذ الربّ السبعين. وقد جال الرسول، بعد صعود الربّ بمجدٍ إلى السموات، في أماكن عديدة مبشّرًا بالرب يسوع المعطي الحياة وجامعًا إليه أولئك الذين رفضوا ضلال عبادة الأوثان. كما أنّه رافق الرسول بولس لمدة من الزمن، وقد ذكره الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية، داعيًا إيّاه «الأخ» (رو ١٦: ٢٣). وعندما وصل الرسول كوارتس في رحلته التبشيريّة إلى نواحي لبنان أسس أوّلاً كنيسة بيروت، بنعمة الربّ، صائرًا بذلك بمثابة الإشبين الذي يقدّم العروس، أي كنيسة بيروت، للختن السماوي الربّ يسوع المسيح، وحاميًا إيّاها ومتشفعًا من أجلها لدى الربّ. لقد أسلم الرسول كوارتس نفسه بين يدي الرب بعد أن عانى كثيًرا من الاضطهادات والعذابات من قِبَل عابدي الأوثان ذوي القلوب المتحجّرة. لكن كنيسة بيروت، التي أسسها وسهر عليها، ما زالت حتى يومنا هذا منارةً ساطعة تشهد لإيمانها المسيحي ولغلبة سيّدها ومخلّصها على الموت والجحيم. فبشفاعات الرسول كوارتس، أيّها الربّ يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلّصنا.

التقويم الأرثوذكسي

صدر عن دار المطرانية تقويم العام ٢٠٢٠ الذي يحتوي على الأعياد الكنسيَّة وأيام الأصوام والصلوات وغيرها من المواعيد التي تهم المؤمنين.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

نفسك، ولا تلتمس إلاّ نفسك. ما الذي تخشاه في بذل نفسك؟ أأن تهلك؟ ولكنّ بذل النفس لا يعني الهلاك. فالمحبّة نفسها تعبّر عن نفسها في الحكمة، وبكلمةٍ واحدةٍ تهدّئ البلبلة حيث رمتك هذه العبارة: «ابذل نفسك». إذ لو أراد إنسانٌ أن يبيعك حقلًا لقال لك: «أعطني ذهبك»، أو بصدد بيعك شيءٍ آخر: «أعطني مالك، أعطني فضّتك». ولكن اسمع ما تقوله لك المحبّة بفم الحكمة: «يا بنيّ، أعطني قلبك» (أم ٢٣: ٢٦). تقول: «يا بنيّ، أعطني». ماذا؟ «قلبك». فلقد كان قلبك سيّئًا عندما كان فيك، عندما كان لك، وكنت فريسة النّزهات، والأهواء النجسة المشؤومة. انتزعه إذًا من هناك. ولكن، أين تحمله؟ أين تقدّمه؟ أعطني قلبك! فليكن لي، ولن تخسره. كيف؟ «أحبب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل ذهنك وقريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٧)». فذاك الذي خلقك إنّما يطالب بك كلّك. من هنا، عليك أن تحبَّ قريبك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل ذهنك.

المغبوط أغسطينوس